المواطن في فكر عبدالله بن عبدالعزيز

بقلم: المقدم د./عبدالله بن إبراهيم المنيف

مثّل البعد الاجتماعي أحد الثوابت الأساسية العامة للدولة، لذلك انتهجت المملكة نموذجا متميزا يجمع بين البعدين الاقتصادي والاجتماعي كمقومين مترابطين لا نجاح لأحدهما إلا بالآخر باعتبارهما طرفي معادلة التنمية الشاملة. وفي هذا السياق والنهج لا تكاد تخلو كلمات وأحاديث خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - أيده الله- من ذكر "المواطن" فالمواطن محل الاهتمام دائما ووسيلة التنمية وغايتها القصوى وهدفها الأسمى، والواقع أن هذه الرؤية تأتي تأكيدا للبعد الإنساني في الفكر السياسي للملك عبدالله بن عبدالعزيز من جهة، ولعمق ومدى إيمانه بقيمة الذات البشرية وما لها من حقوق على محيطها المباشر ثم على الدولة، فخير ورفاهية المواطن بالنسبة للملك عبدالله لا يمكن أن يكونا منقوصين أو مجزأين أو مرتبطين بظرف أو مكان أو زمان.

ويتجلى ذلك في قوله - أيده الله - (...أيها الشعب الكريم: إن لقائي بكم في كل منطقة من مناطق المملكة، بداية من منطقة مكة المكرمة وانتهاء بمنطقة تبوك،

الملك عبدالله يسجل كلمة بعد افتتاحه لمشروع حضاري

• جولات خادم الحرمين الشريفين حول عدد من مدن ومحافظات المملكة ولقاءاته المستمرة بشعبه تجسد المحبة والتراحم والتلاحم بين القائد وشعبه .

أضاف الكثير مما في نفسي لكم، وجعلني أعيش هاجس الأمانة تجاهكم بكل جوارحي. وإني أسأل الله أن يمدني بالقوة لكي أحقق معكم آمالنا وطموحاتنا تجاه الوطن، وإني أعاهد ربي وأساله الثبات والقوة في مسيرة لا أقبل فيها دون ذورة المجد والعزة لكم بين الشعوب وجوامع الأمم..) وقوله (ما أنا إلا مواطن شريك في الهدف والمصير. ورؤية أهلي في كل مناطق المملكة مصدر سعادتي).. عندما يقرر ذلك فانه يقرن القول بالفعل .. ويؤكد صاحب السمو الملكي الفريق أول ركن متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز نائب رئيس الحرس الوطني المساعد للشؤون العسكرية أن المواطن دوماً في مقدمة أولويات خادم الحرمين الشريفين، وأن هموم المواطن وقضاياه وحاضره ومستقبله تحتل المساحة الأكبر من اهتمامات المليك.

وما جولة ملك الإنسانية والخير متفقداً ومستمعاً وموجهاً، وتواصله مع أهله ومواطنيه، والاستماع إليهم بكلماتهم وأصواتهم؛ وتوجيهه الدائم بسرعة إنجاز أمور الناس وتلمس احتياجاتهم، إلا شواهد حية، مشاهدة وقريبة، على سمو نهجه المتبع، إذ هو القريب منهم، الملامس لحاجاتهم، الملتصق بهمومهم، والحريص على مصالحهم بالمتابعة الشخصية المباشرة.. هذا هو الأنموذج السعودي الذي ما انفك الملك عبدالله يتعهده بالسهر وبالمتابعة الدقيقة وهو المنهج المستمد من شرعنا الحكيم في العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

ونقتطف هنا بعض ثمار هذه المقولات الأبوية الكريمة:

(إن الإسلام يدعو إلى توفير الحياة الطيبة لأبنائه وسبيلنا الى تحقيق ذلك هو التنمية الشاملة التي سنسعى بإذن الله إلى استكمالها متلمسين خير المواطن وسعادته آملين أن نحقق له أسباب السكن والعمل والتعليم والعلاج وبقية الخدمات والمرافق وسنحرص على مكافحة الفقر والاهتمام بالمناطق التي لم تحصل على نصيبها من التطور وفقا لخطط التنمية المدروسة).

(.. أعاهد الله ثم أعاهدكم أن أتخذ القرآن دستورا والإسلام منهجا وأن يكون شغلي الشاغل إحقاق الحق وإرساء العدل وخدمة المواطنين كافة بلا تفرقة، ثم أتوجه إليكم طالبا منكم أن تشدوا أزري وأن تعينوني على حمل الأمانة وألاّ تبخلوا علي بالنصح والدعاء..)

(أقول لكل مواطن ومواطنة: لقد عرفتكم خلال السنين كما عرفتموني وقد كنتم على الدوام مخلصين صادقين أوفياء للعهد وستجدونني إن شاء الله مخلصا لديني ثم لوطني صادقا معكم وفياً للعهد، ستجدونني معكم في السراء والضراء أخاً وأباً وصديقاً صادقاً وساكون بينكم في المسيرة الواحدة نرفع كلمة الاسلام ورفعة الوطن.. وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا واليه ننيب).

(.. أقول بصدق وأمانة: إننا معكم نعايش أمانيكم وأحلامكم، فلا يبق لنا من أمل في شيء سوى خدمتكم والسهر على راحتكم وتفقد أحوالكم أينما كنت في هذه البلاد في المدينة والقرية والصحراء.. أود أن أذكر لكم أن الدولة، منذ تأسيسها على يد الملك عبدالعزيز - رحمه الله-، لا تفرق بين منطقة ومنطقة فكل ذرة من تراب الوطن غالية علينا، وكل مواطن في هذا الوطن ابن عزيز من أبنائنا..).

(.. ليعلم كل مواطن كريم على أرض هذا الوطن الغالي، بأنني حملت أمانتي التاريخية تجاهكم، واضعاً نصب عيني همومكم، وتطلعاتكم، وآمالكم ، فعزمت متوكلاً على الله، في كل أمر فيه مصلحة ديني ثم وطني وأهلي. مجتهداً في كل ما من شأنه خدمتكم فإن أصبت فمن الله وتوفيقه وسداده، وإن أخطأت فمن نفسي؛ وشفيعي أمام الخالق- جل جلاله- ثم أمامكم اجتهاد المحب لأهله الحريص عليهم أكثر من حرصه على نفسه.. إنني من مكاني هذا، أعدكم بأن أسعى لخدمتكم في كل أمر فيه

الملك الإنسان يداعب بعض الأطفال من ذوي الحاجات الخاصة

• تكاد لا تخلو كلمات وأحاديث خادم الحرمين الشريفين من ذكر المواطن الذي هو محل الاهتمام دائما ووسيلة التنمية وهدفها الأسمى.

صلاح ديننا ودنيانا.. هذا وعلى الله توكلت، وبه استعنت، وإليه أنيب.)

(إن المسؤولية المشتركة بين الجميع تفرض على كل مسؤول تقلد أمراً من شؤون هذا الشعب الكريم مسؤولية القيام بأمانته واضعا عينيه بأنه خادم لأهله وشعبه، وما أعظمها من خدمة إذا توشحت بالأمانة والإخلاص والتفاني والعطاء والتواضع. وليعلم كل مسؤول أنه مساءل أمام الله، سبحانه وتعالى، ثم أمامي وأمام الشعب السعودي عن أي خطأ مقصود أو تهاون).

أجل.. فقراءة بسيطة لأقوال وأفعال الملك عبدالله بن عبدالعزيز، كفيلة باستنباط دلالاتها العميقة، والمتضمنة اهتمامه البالغ بكل ما ينفع الوطن والمواطن.. وجولات الخير الكريمة التي قام ويقوم بها خادم الحرمين الشريفين حول عدد من مدن ومحافظات بلادنا العزيزة، تأتي تجسيدا لهذا الاهتمام وترجمة واقعية متكررة لاهتمام خادم الحرمين الشريفين بمواطنيه، وسعيه الدائم نحو تلمس حاجاتهم عن كثب، واللقاء بهم، والاطمئنان عليهم، والوصول إليهم أينما كانوا، وذلك في أجمل وأصدق صور المحبة والتراحم والتلاحم والتواد والولاء، إضافة إلى كونها تعكس جانباً من القيم الخالدة، وجانباً أصيلاً من تكوين المجتمع المسلم على يد الملك المؤسس عبدالعزيز - رحمه الله- التي تقوم على مبادئ التكافل والتكامل والترابط والمسؤولية. ولقد لاحظنا جميعنا المشاعر الوطنية التي تجسدت في احتفالات المواطنين بزياراته الميمونة، ومظاهر الفرحة والبهجة والفخر والاعتزاز التي عبروا عنها كافة، والتي هي ولا شك مناسبة غالية لتجديد البيعة والطاعة والولاء، ولا يمكن أن تذكر مبادرات خادم الحرمين الشريفين وما دشنه من فعاليات تنموية ووطنية وتقصي أحوال المواطنين

المليك يحيطه شعبه على الدوام بمشاعر الحب والولاء

● إنجازات الملك عبدالله تشكل مصدر إلهام للعديد من رجال الفكر والسياسة في كافة أنحاء العالم، وتحتاج هذه الإنجازات إلى الكثير من الدراسات والبحوث للاستفادة من فكر ومنهج الملك عبدالله وجهوده في الإصلاح الشامل.

وتلمس احتياجاتهم وتوفير كل مقومات الحياة الكريمة لهم، دون أن تذكر الزيارة التي قام بها الملك عبدالله في ٣٠ رمضان عام ١٤٢٣هـ عندما كان ولياً للعهد لعدد من الأحياء الفقيرة في مدينة الرياض، فسار في حاراتها ودخل منازلها واطمأن على ساكنيها وتبادل معهم الحديث في أبوة إنسانية حانية وشاهد على الواقع الحال الذي يعيشونه. فمبادرة الزيارة أسست لمدرسة كاملة وكانت معالجة اجتماعية متعددة المجالات والأبعاد وعلى ضوئها تم وضع استراتيجية وطنية شاملة لمعالجة الفقر والعمل على القضاء التام على الفقر المدقع بحلول العام ٢٠٠٩.

كما أنشأ- أيده الله- مؤسسة الملك عبدالله بن عبدالعزيز لوالديه للإسكان التنموي عام ١٤٢٣هـ، وهي مؤسسة خيرية تهدف إلى تأمين مساكن ملائمة للفئات الأكثر حاجة في المجتمع السعودي لتصبح فئات منتجة وقادرة على المشاركة في تنمية محيطها المحلي المباشر كجزء من التنمية الشاملة. وأولى الملك عبدالله أبناءه وبناته الموهوبين والمتفوقين في شتى المجالات عناية فائقة، حيث أسس (مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين) التي تقوم بدور ريادي في رعاية واكتشاف الموهوبين من خلال دعمها لمراكز الكشف عنهم في مدارس البنين والبنات. كما نستذكر ما حفلت به ميزانية الخير وما أصدره- حفظه الله- من توجيهات للأجهزة التنفيذية تؤدي إلى حسن استعمال الموارد ورفع مستوى معيشة الوطن.

إن لخادم الحرمين الشريفين أسلوباً مميزاً وفلسفة عميقة نستطع أن نراها خلال لقاءاته الكثيرة المتواصلة مع مواطنيه على امتداد الوطن، أو بخطاباته وكلماته وأحاديثه لوسائل الإعلام المختلفة داخل المملكة وخارجها ، وحياته مليئة بالمواقف الحكيمة، واللمحات الإنسانية.. منها ما رصده الإعلام عنوة ومنها ما هو يخفى على الكثير.. وهي غالباً ما تتردد في أحاديث المواطنين والمواطنات. في واقع الأمر، إن مآثره- أيده الله- وعطاءاته المتواصلة، ومواقفة الإنسانية النبيلة تفوق الحصر، وهي حقائق ملموسة ومحسوسة، ولن أتحدث عنها، فهي قائمة شامخة تتحدث عن نفسها، وأصبح أبناء هذه البلاد يتمتعون بكل خيرات وميزات الواقع المعاصر.

لا شك أن إنجازات وكلمات خادم الحرمين الشريفين شكلت وتشكل مصدر إلهام للعديد من رجال الفكر والسياسة في كافة أنحاء العالم، وسيكون الشعب السعودي الوفي والأمتان الإسلامية والعربية والعالم أجمع مدينين لخادم الحرمين الشريفين بذلك. إلا أن مما يحز في نفوسنا جميعاً، افتقار المكتبات في الداخل والخارج لإصدارات تتناول الملك عبدالله، وإسهاماته الجليلة، إذ لم تستوف إلا القليل من المسيرة العطرة لملك الخير والإنسانية والسلام.

وهي مناسبة أدعو فيها من هذا المنبر رجال الفكر والسياسة والثقافة إلى دراسة علمية عميقة لمدرسة الملك عبدالله السياسية والإنسانية الفريدة، حيث يعتبر في نظري هذا مطلباً ونوعاً من الكتابة للمستقبل وللتاريخ للاستفادة من فكره ونهجه المميز، مؤكداً على أهمية توثيق المنجزات الكبيرة في السياسة الداخلية و الخارجية التي تحققت لخادم الحرمين الشريفين بفضل الله ثم بفضل قيادته الحكيمة لمجريات الأمور، وجهوده في التوجه نحو الإصلاح الشامل، هذا النهج الذي أرساه ولم يقتصر على البعد السياسي بل كان متكامل الأبعاد، متلازم المقومات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في عالم مليء بالتحديات، تحديات تفرزها العولمة والأوضاع العالمية الجديدة.